تصوّرات المراهقين للحياة الجنسية: ملاحظات حول التنمية الجنسانية المغربية المعاصرة

محمد الإدريسي(*)

أستاذ الفلسفة في سلك التعليم الثانوي التأهيلي، بركان ـ المغرب.

مقدمة

يعتبر موضوع الجنس لدى المراهقين من المواضيع التي لم تحظ بعدد كبير من الدراسات والبحوث السوسيولوجية والأنثروبولوجية والسكسولوجية (علم الجنس)، وذلك لفهم الدور الذي تؤديه داخل الحياة السوسيو ـ ثقافية للأفراد والجماعات، وكذا علاقتها بالتنمية البشرية، والتنمية المستدامة، نظراً إلى الطبيعة الحساسة للموضوع من الناحيتَيْن الثقافية والاجتماعية من جهة، وغياب التأصيل النظري للموضوع في الجامعات والمعاهد المتخصّصة من جهة ثانية، الأمر الذي دفعنا إلى محاولة رصد واقع الجنس لدى المراهقين في المجتمع المغربي، وعلاقة التصوّرات الثقافية بممارسات الواقع اليومي للأفراد والجماعات، والدور الذي تؤديه البكارة في تحديد مقياس العذرية في المجتمع المغربي في ظلّ التحولات السوسيو ـ ثقافية والاقتصادية التي يعرفها هذا الأخير.

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على تصوّرات المراهقين حول الذكورة والأنوثة، ورصد التصوّرات التي يحملونها حول العلاقات الجنسية بين الجنسين، والكشف عن موقفهم من العذرية وتصوّراتهم حول الأمراض المنقولة جنسياً، وفق مقاربة منهجية للموضوع للوصول إلى عمق الظاهرة، وكشف خباياها بكل موضوعية علمية.

أولاً: مدخل منهجي

١ ـ أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في توظيف النظريات السوسيولوجية والأنثروبولوجية والسكسولوجية المرتبطة بموضوع الجنس والجنسانية، من أجل فهم الدور الذي يؤديه الجنس في حياة

(*) البريد الإلكتروني: mohamed-20x@hotmail.com.

المراهقين والشباب، نظراً إلى قلة هذا النوع من الدراسات، خصوصاً في ما يتعلق بالمراهق والجنس في المغرب، وذلك من خلال النقص الذي لاحظناه أثناء تفحّصنا للدراسات والمراجع المرتبطة بالموضوع. وهذا راجع إلى عدم الاهتمام بشكل كبير بالمقاربة السوسيولوجية لدراسة موضوع الجنس والجنسانية في صفوف المراهقين في المغرب. وهذه الدراسة ستعطينا تحليلاً معمّقاً لتصوّرات المراهقين للجنس في مدينة بني ملال في المغرب (وذلك عبر استعمال التقنيات الكمّية والكيفية في معالجة الموضوع)، وستزوّد الجهات المعنية ببحوث علمية متخصّصة، تأخذ بعين الاعتبار دور الباحثين الاجتماعيين في تحليل ودراسة الظواهر الحضرية، كي يستفيد منها المعنيون بالأمر للنهوض بالقطاعات العامة، كما هو الشأن في الدول الغربية.

٢ ـ إشكالية الدراسة

يعتبر تحديد الإشكالية من البؤر الأساسية والمركزية ضمن الخطوات المنهجية للبحث السوسيولوجي الميداني، لما لهذه الخطوة من أهمية على صعيد ترجمة موضوع البحث وقضيته في بناء تساؤلي منظّم حول ما ينبغي التفكير والبحث فيه، ولما لها أيضاً من أهمية في رسم خطوات العمل اللاحقة، وخاصة ما يتصل منها بوضع فرضيات الدراسة (حمداش، ٢٠٠٦: ١٩ ـ ٢٠).

وانطلاقاً من هذه الأهمية التي يكتسيها موضوع الجنس لدى المراهقين من الناحية النظرية والميدانية، فالإشكالية التي وجّهت بحثنا تتمحور حول طبيعة التصوّرات التي يحملها المراهقون عن الحياة الجنسية (ثانوية ابن سينا، بني ملال، المغرب نموذجاً)، ومن خلالها سنعمل على استنباط الأثر التنموي للنتائج في المجتمع.

٣ ـ أهداف الدراسة

إن أي بحث سوسيولوجي، وأية دراسة اجتماعية تهدف إلى تحقيق أهداف وغايات محدّدة سلفاً، أو لتحقيق طموحات وأماني معيّنة. فالبحث السوسيولوجي يضطلع بالكشف عن الحقائق والبحث عنها، ودراسة وتحليل مشكل أو ظاهرة ما، والمساعدة على إعطاء حلول إن أمكن ذلك.

هذا، وإن ما يضع أية دراسة على سكّة البحث العلمي الصحيحة، هو وضوح الأهداف المرجوة، سواء عند الباحث أو القارئ، لأن أهداف الدراسة تُستمدّ من عدة مصادر، منها مجال التخصّص ووضوح صياغة الإشكالية. لذا، فقد تم تحديد جملة من الأهداف لدراستنا هذه، وهي على الشكل التالي:

أ ـ الأهداف العلمية

إن الأساس هو الغاية السامية في توظيف كل ما تلقيناه خلال مسار الدراسة السوسيولوجية والاجتماعية، سواء من الناحية المنهجية أو من ناحية جمع المعطيات النظرية، ومعرفة ودراسة الظاهرة في عمقها، عبر تبنّي الدقة والسلامة المنهجية والموضوعية في جميع الجوانب النظرية

والميدانية، والإجابة بطريقة علمية عن الإشكالية المؤطرة للدراسة، وتأكيد صحة أو خطأ فرضياتها، والتحكّم في التحليل السوسيولوجي على مستوى الميكرو والماكرو ـ سوسيولوجي، وتطبيقه على المجال المدروس، عبر التحكّم في أدوات وطرق البحث العلمي.

ب ـ الأهداف العملية

تتمثل هذه الأهداف بالكشف عن طبيعة تصوّرات المراهقين حول الحياة الجنسية (ثانوية ابن سينا، بني ملال، المغرب نموذجاً)، وذلك بالنزول إلى الميدان والتعرف إليها أكثر.

٤ ـ فرضيات الدراسة

يمكن تحديد الفرضية على أنها تقديرات واضحة تشير إلى طريقة تفكير الباحث في العلاقة بين الظواهر المعنية بالدراسة، كما تشير إلى الطريقة التي يظن بها أن متغيّراً مستقلاً يؤثر أو يعادل متغيّراً تابعاً (مختار، ١٩٩٩: ٨٠).

وتعتبر الفرضية العامة للبحث هي الفرضية التي ينطلق منها الباحث، والتي قد يحتفظ بها، أو قد يدخل تعديلات عليها، أو قد يغيّرها بعد الدراسات الاستطلاعية والميدانية، والحصول على معطيات جديدة لم تكن في حوزته (مسلم، ٢٠٠٤: ٢٠). لذلك تكتسي مرحلة صياغة الفرضيات أهمية كبرى في البحث السوسيولوجي، لكونها أداة فاعلة في توجيه البحث، فهي التي ترشد الباحث إلى الخطوات التي ينبغي له أن يتّبعها لتأكيد أو نفي ما افترضه.

وبناءً على التساؤل الذي طرحناه في الإشكالية، والذي يهدف إلى معرفة العلاقة بين المتغيّر المستقل، وهو «الجنس»، والمتغيّر التابع، وهو تصوّرات المراهقين للجنس، فإن بحثنا هذا يطرح الفرضية التالية:

«تؤدي التغيّرات السوسيو ـ ثقافية داخل المجتمع «الملالي» دوراً أساسياً في رسم طبيعة التصورات التي يحملها المراهقون حول حياتهم الجنسية، وتحقيق التنمية الذاتية والمجتمعية».

٥ ـ صعوبات الدراسة

يواجه البحث العلمي مجموعة من الصعوبات التي تؤثر بشكل أو بآخر في نتائجه، والبحث السوسيولوجي بدوره يواجه مجموعة من الصعوبات المرتبطة بالجوانب النظرية، والجوانب المتعلقة بجمع المعلومات والمعطيات الميدانية، خصوصاً في دول العالم الثالث التي من بينها المغرب، حيث يبرز ضعف كبير في ثقافة البحوث العلمية لدى المواطنين والأفراد العاديين، الأمر الذي يشكّل إكراهاً كبيراً بالنسبة إلى الباحثين السوسيولوجيين.

إن دراستنا هذه حول التصورات المراهقين حول الحياة الجنسية (ثانوية ابن سينا، بني ملال، المغرب نموذجاً) تعتريها مجموعة من الصعوبات، يمكن تقسيمها إلى صعوبات نظرية، وصعوبات ميدانية:

أ ـ الصعوبات النظرية

ترتبط الصعوبات النظرية بقلة البحوث والدراسات التي تناولت موضوع تصوّرات المراهقين حول الحياة الجنسية في المغرب، إضافة إلى تواجد أغلب الدراسات والبحوث حول موضوع الجنس والجنسانية عموماً باللغتين الفرنسية والإنكليزية.

ب ـ الصعوبات الميدانية

يرتبط البحث أيضاً بصعوبة جمع المعطيات الميدانية، وخصوصاً نحن أمام دراسة تعتمد على تقنية الملاحظة المقابلة، ما يطرح مشكلة الحصول على المبحوث المناسب، التي ترتبط بخصوصية منطقة البحث ذات الطبيعة شبه القروية، والتي لم تتعوّد على وجود باحثين اجتماعيين.

٦ ـ أدوات جمع البيانات

تتحدّد الأدوات المستخدمة في الدراسة بناءً على التقنيات المستخدمة (كمية، كيفية). لذلك قد يستخدم الباحث أكثر من طريقة أو أداة لجمع البيانات حول مشكلة الدراسة أو للإجابة عن أسئلتها أو لفحص فرضياتها، ويجب على الباحث أن يقرر مسبقاً الطريقة المناسبة لبحثه أو دراسته (عليان وعثمان، ٢٠٠٠: ٨١)، في إطار تحقيق التكامل بين التقنيات الكمية والكيفية من أجل الوصول إلى فهم أوسع وأدق للظاهرة المدروسة.

لقد استخدمنا في هذا البحث أداتين عمليتين (الملاحظة، والمقابلة) لجمع البيانات والمعطيات الميدانية حول موضوع «طبيعة تصوّرات المراهقين حول الحياة الجنسية» (ثانوية ابن سينا، بني ملال، المغرب نموذجاً)، وذلك لتغطية النقص الذي يشوب أداة عن أخرى، وتحقيق التكامل بين التقنيات.

أ ـ الملاحظة

تعتبر الملاحظة من أهم التقنيات الكيفية الأساسية في البحث السوسيولوجي، ومصدراً مهماً في الحصول على المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع البحث، وهي تقنية تعتمد على حواس الباحث وقدرته على التقاط مجموعة من التفاصيل والأحداث والسلوكات المرتبطة بأفعال الأفراد والجماعات، وتفسير وترجمة ما لوحظ إلى عبارات دالة، ومعنى يمكن تصديقه أو نفيه. كما تتيح للباحث إمكانية الاطلاع على الظروف المتعلقة بالمجالَيْن المكاني والبشري، وذلك في حدود المجال الزمني.

إن تقنية الملاحظة تفيد في جمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي، وأيضاً في جمع البيانات التي يبدي فيها المبحوث نوعاً من المقاومة للباحث، ويرفض الإجابة عن أسئلته. ويستطيع الباحث أن يستخدمها في الدراسات الكشفية والوصفية والتجريبية، كما تتميز من غيرها من أدوات جمع البيانات، بكونها تمكّن من تجميع بيانات لها أهميتها بالنسبة إلى كل نوع من أنواع الدراسة (حسن، ١٩٨٢: ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

وقد اعتمدنا في هذا البحث على الملاحظة البسيطة في مرحلة أولى، وذلك بدءاً من الجولة الاستطلاعية، وكذلك من خلال إجراء المقابلات مع المراهقين، من أجل الحصول على معلومات ومعطيات تهم موضوع البحث، واعتمدنا على الملاحظة غير المباشرة من خلال ملاحظة الظواهر والسلوكات في الثانوية كمرحلة أولى في إطار التحليل المعمّق للظاهرة المدروسة، إضافة إلى ملاحظة كل ما يخصّ موضوع الدراسة من مواقف ونشاطات وسلوكات. لهذا، فإن الملاحظة ليست أداة مرحلية في البحث، وإنما استخدمت في كل مراحل الدراسة.

ب ـ المقابلة

تعتبر المقابلة أداة أساسية في البحث الاجتماعي، ومن أهم الأدوات المنهجية المستعملة لجمع البيانات، وأكثرها استعمالاً، لما تقدمه من فوائد في الحصول على البيانات المتعلقة بسلوكات الأفراد، وقيمهم واتجاهاتهم السوسيو ـ ثقافية. وتقدم المقابلة إلى الباحث مجموعة من التسهيلات لتجاوز مشكلة عدم تجاوب المبحوث معه، من خلال تدخله لشرح الأسئلة وتبسيطها ومناقشتها معه.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المقابلة شبه المقنّنة، وفيها لا تكون الأسئلة موضوعة مسبقاً، بل يطرح الباحث محاور أساسية عامة حول مشكلة البحث، ومن خلال إجابة المبحوث يتسلسل في طرح الأسئلة الأخرى، وعادة يكون لدى الباحث الإطار العام أو الأسئلة العامة حول موضوع البحث. ويستخدم هذا النوع من المقابلات عندما يكون الباحث غير ملمّ بحيثيات الموضوع المدروس، وليس لديه معرفة شاملة حوله. ويمتاز هذا النوع من المقابلات بغزارة المعلومات التي يوفرها، كما يساهم في تعديل فرضيات الدراسة وأهدافها (أبو علاء، ٢٠٠١: ٤٢٩). وقد استخدمنا هذا النوع من المقابلات مع المراهقين والتلاميذ في الثانوية التأهيلية ابن سينا في مدينة بني ملال في المغرب.

وقد تم استثمار العلاقة الجيدة التي جمعتنا مع بعض المراهقين والتلاميذ، من أجل الوصول إلى قدر كبير من الموضوعية في إطار البحث السوسيولوجي مع تحقيق المسافة العلمية بين الباحث والمبحوث للوصول إلى عمق الظاهرة المدروسة.

٧ ـ عيّنة البحث

تعتبر مرحلة تحديد عيّنة البحث من أهم الخطوات المنهجية في البحوث الاجتماعية عموماً، وفي الدراسات والبحوث السوسيولوجية على وجه الخصوص، وهي تتطلب من الباحث دقّة بالغة، لكون نجاح أية دراسة أو بحث ميداني يتوقف بصورة عامة على الاختيار الجيد والدقيق لعيّنة المبحوثين، وكذا تتوقف نتائج الدراسة أو البحث على الاختيار المناسب لعيّنة البحث من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة.

وقد انطلقنا في بحثنا هذا عبر تحديده وفق مبادئ تخدم أغراضه وأهدافه العامة، من أجل الوصول إلى عمق الظاهرة المدروسة (تم اختيار عيّنة مكوّنة من ٢٥ مبحوثاً).

لا نعتبر هنا أن حجم العيّنة الكبيرة سيفيد في هذا البحث، فنحن بصدد رصد التصوّرات التي يحملها المراهقون حول الجنس والجنسانية، من خلال الاعتماد على مقابلات مع المبحوثين المراهقين والتلاميذ. فكلّ مبحوث قد يرى موضوع الدراسة وفق تجربته الخاصة، وهذا أمر حيوي، لكنه لن يغيّر كثيراً في جوهر موضوع البحث، فما يهمّ في العيّنة هو الاعتماد على مبحوثين جوهريين مناسبين للبحث ويعبّرون عن مجتمع الدراسة ككلّ.

ثانياً: تصوّرات المراهقين حول الذكورة والأنوثة

تعرف الثانوية التأهيلية ابن سينا مجموعة من الظواهر والسلوكيات الاجتماعية والنفسية المرتبطة بالحياة الجنسية والعاطفية التي يعرفها المراهقون في هذه المرحلة العمرية في سياق بناء أنساق تصوّراتهم حول الذكورة والأنوثة، فقيام بعض المراهقين بحركات بهلوانية أمام الثانوية بالدرّاجات النارية، أو رفع مستوى صوت الموسيقى داخل السيارات، هي وسيلة، في نظرهم، لإثبات الذات أمام الفتيات، أي بحسب التلاميذ «كيبغي إيبان كودام الدريات». وعلى الرغم من أن الفتيات يعتبرن هذه السلوكيات هي نوع من «العياقة»، ويدركن الغرض منها، إلا أنها ترسم لهن صورة ذهنية حول طبيعة الشاب الذي يقوم بمثل هذه السلوكيات، باعتباره شاباً «في شي شكل»، رغم هذه «العياقة» التي يقوم بها.

وتتسم عمليات التقرّب إلى الفتاة من طرف الفتى ومبادرته إلى طلب إنشاء علاقة عاطفية أو جنسية بالقصدية، حيث يقصد الفتى الفتاة في محاولة للتودّد إليها عبر طلب دفتر الدروس، مثلاً: «ختي عطيني الدفتار راني كاسيت ديك الساعة عند الأستاذ»، ورغم تواجد زملائه الذكور في القسم، فإنه يجعل «الدفتر» وسيلة أولى للتودّد للفتاة، إضافة إلى قيامه بتتبّع الفتاة طوال ساعات الدراسة وخارجها لكي تفهم «الفتاة» أن هناك شيئاً ما يخصّ ذلك الفتى «كيبقا تابعها من ما دازت ولا مشات»؛ كلّ هذه الأساليب هي وسيلة «لتطياح الدرية» أو بمعنى أدق «كيطيح البنت»، أي العمل على أن تبادله الشعور نفسه أو فتح المجال لإمكانية علاقة «تصاحيب»، «تصاحيب» ليس بمعنى علاقة صداقة أو زمالة ثانوية، وإنما علاقة صداقة حميمية: «أنا باغي نتصاحب مع البنت»، من أجل الوصول إلى تحقيق هدف الاتصال الجنسي بين النوعين ولو بمنظوره السطحي (قبلات، مداعبات... إلخ).

كما أن الفتى لا يبادر منذ اللحظة الأولى إلى الذهاب إلى الفتاة، ويقول لها: «أنا باغي نتصاحب معاك»، بل يعتمد على مجموعة من «آليات تطياح البنت»، سواء عبر كلمات حوارية وعاطفية: «ختي راكي عجبتيني وبغيت تكون بيناتنا شي حاجة»، «ختي راه شحال هذه وأنا باغي نقول ليك شي حاجة ومقدرتش»، كما يتم دائماً إسباق الكلام بكلمة «ختي» لبيان حسن النيّة في مرحلة أولية. كل هذه الأليات «التطياحية» تختلف من شاب إلى آخر، وتتنوّع بحسب الوضعيات، وهي التي تجعل كل فتى متميّزاً من الآخر، ومعروفاً بكونه «عندو مع التصاحيب ومع الدريات»، أو بمعنى آخر «خطير داك الدري»، الخطورة بمعنى الشجاعة والمبادرة واغتنام الفرص.

وتعتبر هذه الآليات «التطياحية» حكراً على الفتى، ولا يحق للفتاة القيام بها للتودّد إلى الفتى، لأنها تعتبر حينئذ «برهوشة» أو «خارجة عن الطريق»، وينبغي الحذر منها لكون الصورة المروّجة عنها لدى المراهقين أنها «صاحبت حاجتها»، أو «ديرا شي حاجة وكتبغي تلصق في شي واحد»، إضافة إلى كون المراهق الذكر يحبّذ أن يقوم هو «بتطياح الفتاة وتصاحيب معاها»، وليس العكس، حتى يظهر «أعيق» أمام زملائه بإنجازاته العاطفية والجنسية، كما أن الفتاة «خاصها تخلى الدري هو لي ادور بيها»، بمعنى أن الفتى هو الذي يبادر إلى ربط علاقة معها.

إن الذكورة إذاً مرتبطة بترسيمات اجتماعية محدّدة للفعل الجنساني العام، لذلك يمكن اعتبارها كإنتاج اجتماعي محققة للتنمية الجنسانية الذاتية في تفاعلها مع الفاعل الأنثوي، وفق أبعاد رمزية لنسقية البنية الموضوعية للفعل الثقافي.

ثالثاً: تصوّرات المراهقين حول العلاقات الجنسية بين الجنسين

والملاحظ أيضاً عبر بعض الحوارات والدردشات مع بعض المراهقين أن الهدف الأساسي من العلاقة بين الفتى والفتاة هو هدف ذو طبيعة جنسية «خصوا ايدير معاها شي حاجة»، إلا أن هذا الهدف قد تختلف درجاته، فليس الغرض هو إقامة علاقة جنسية كاملة، بل في أغلب الأحيان ممارسات جنسية سطحية (تبادل القبلات) التي أصبحت أمراً عادياً بين المراهقين: «خصوا افلوطي معاها ولا هما علاش مصاحبين».

ويزداد إذا التنميط الاجتماعي الذي أصبح يسود العلاقات الاجتماعية بين المراهقين، حيث إن إمكانية إقامة علاقة جنسية، ولو سطحية، هي الهاجس الأول وراء العلاقات العاطفية، وتحت ذريعة «الحب» «والانجذاب». ويبرز مصطلح «هاد شي عادي» أو «كولشي كيدير هاد شي» كذريعة اجتماعية يستعملها المراهق لتبرير العلاقات التي يقوم بها، ويتم توصيف من لا يندرج ضمن هذا النمط الاجتماعي بـ «المعقّد» أو «المعقّدة»، وبذلك يبدو أن النمط المثالي المسيطر بين فئة المراهقين، ذكوراً وإناثاً، هو النمط المتحرر في إقامة العلاقات الجنسية، والمتمرّد بشكل من الأشكال على القيم والمعايير الثقافية.

إن الجنسانية المعاصرة لدى المراهقات، أصبحت إنتاجاً للمنطق الليبرالي المتحرر للفعل الجنسي، لكن البعد التنموي يكمن في كون النزوع نحو الجنسانية الفوضوية مناقضاً للتوجهات التنموية، بينما الجنسانية العقلانية يمكن أن تحقق تنمية ذاتية للفرد من جهة، وتنمية مجتمعية مستدامة، إن تمّ التمكّن من استيهاماتها الرمزية.

رابعاً: تصوّرات المراهقين حول العذرية

تشكّل البكارة أهم معيار للشرف السوسيو ـ ثقافي للفتاة داخل المجتمع المغربي، وطقس عبور من مرحلة الطفولة والمراهقة إلى مرحلة الأنوثة النسائية بالمعنى الثقافي، أي من

مرحلة «البنت» إلى مرحلة «المرأة». ويعتبر فقدان البكارة من طرف البنت من دون زواج مشكلاً اجتماعياً وثقافياً ينعكس على وضعها السوسيو ـ ثقافي داخل الأسرة، وداخل الفضاء الاجتماعي الذي تنتمي إليه. ومع التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع المغربي المرتبطة بتمدرس الفتاة وخروجها إلى عالم الشغل، أصبح الاهتمام بالعفة والشرف بمعناها الديني والثقافي يقلّ شيئاً فشيئاً، وأصبح الانخراط في علاقات جنسية بين الشاب والشابة أمراً عادياً في لغة الحديث اليومي لهذا الجيل، الأمر الذي يطرح معه السؤال التالي: هل البكارة ما زلت معياراً للشرف في ظلّ التحولات الراهنة؟

هذا ويمكن تقسيم العذرية إلى نوعين أساسيين (الديالمي، ٢٠٠٩: ٧٤ ـ ٧٥):

١ ـ العذرية الدينية: هي غياب أي تجربة جنسية للفتاة، ولو سطحية وعفوية، أي فتاة لم تمارس أدنى نوع من الجنس إطلاقاً.

٢ ـ العذرية التوافقية: وهي أن تمارس الفتاة مختلف أنواع الجنس: جنس فموي أو سطحي (قبلات وملامسات... إلخ)، أو جنس شرجي، أو جنس مهبلي، أو جنس احتكاكي سطحي، مع الحفاظ على غشاء البكارة.

إن النمط الثاني من أشكال العذرية هو الذي يجد صداه في العلاقات العاطفية والجنسية بين المراهقين، حيث يتم الانخراط في ممارسات جنسية متنوّعة مع حفاظ الفتاة على بكارتها، من دون أي فقدان لعذريتها التوافقية: «نديروا كولشي لكن البنت تبقى بنت» عبارة جاءت على لسان أحد المراهقين تشرح تصوّره الخاص للعذرية بأنها ذلك الغشاء المرتبط بالمهبل المسمّى «بكارة»، وهو المحرّم الاقتراب منه، أما عدا ذلك فهو مسموح به.

يبقى إذاً الحديث عن علاقة البكارة بالتنمية إشكالاً جوهرياً في الفكر الجنساني عموماً، فصحيح أن البكارة معيار للتنمية الثقافية للأسر والجماعات وفق منطق الشرف الاجتماعي، إلا أن نزوعات الشباب المعاصر تجعل من البكارة عائقاً للجنسانية الفاعلة، ولتحقيق التنمية الذاتية.

خامساً: تصوّرات المراهقين حول الأمراض المنقولة جنسياً

إن الحديث عن إقامة علاقات جنسية خارج إطار مؤسسة الزواج بين المراهقين يدفعنا إلى التساؤل حول التدابير الوقائية التي يستعملونها لتفادي الحمل من جهة، وتفادي الأمراض المنقولة جنسياً من جهة أخرى. ويبرز الواقي الذكري أو «البروتيكس» باللغة العامية، كدلالة أساسية على انتشار وعي جنسي بشكل من الأشكال بين المراهقين.

وتعتبر السيدا والزهري أهم الأمراض المعروفة لدى عامة المراهقين، انطلاقاً من تجارب الأصدقاء والأحاديث بين المراهقين، إلا أن الأغلبية تربطها بالفساد والدعارة في الأحياء المعروفة، وليس بين المراهقين، إلا أن مؤشر الثقة يتدخل في هذه التصوّرات، فبحسب أحد

المراهقين «ماخصكش تيق في أي بنت تقدر تدوز مع أي واحد»، إن مؤشر الثقة وانعدامها من طرف الذكور تجاه الجنس الآخر، هو الذي يجعلهم يأخذون احتياطاتهم في أي اتصال جنسي مع الجنس الآخر.

وترتبط التصوّرات التي يحملها المراهقون حول الأمراض المنقولة جنسياً نسبياً ببعض الحملات التحسيسية التي تقوم بها بعض الأندية المدرسية داخل الثانويات، والتي تساهم في توعية التلاميذ بطرق الحماية أثناء الاتصال الجنسي، وليس عدم القيام باتصال جنسي مع الجنس الآخر، بحسب ما قاله أحد التلاميذ.

ويمكن اعتبار الدور الايجابي لجمعيات المجتمع المدني، المنطق الأساسي للتنمية التوعوية للأفراد المراهقين في أبعاد بنيوية، تعمل على التوجيه العقلاني للجنسانية المعاصرة.

خاتمة

إن دراستنا هذه حول التصوّرات التي يحملها المراهقون حول الجنس والجنسانية، تدخل ضمن الدراسات السوسيولوجية الهادفة إلى الوقوف على المسكوت عنه داخل المجتمع، وعلى الموضوعات التي تشكّل تابواً ثقافياً داخل المجتمع المغربي عموماً، والمجتمع «الملالي» خصوصاً، وفق المقاربة السوسيولوجية المزعجة الكاشفة عن حفلات الأفراد والجماعات التنكّرية باللغة البورديوية، وتأكيد الدور التنموي للفعل الجنساني المعاصر.

وخاتمة دراستنا هي خلاصة عامة للدراسة من خلال ما قمنا به من تأسيس منهجي وتحليل وتفسير ميداني للتصوّرات التي يحملها المراهقون عن الحياة الجنسية والجنسانية (ثانوية ابن سينا التأهيلية في مدينة بني ملال في المغرب)، وقد جعلَنا التأسيس النظري للبحث نقف عند أبعاد الموضوع ومؤشراته التفصيلية.

وتنتمي الدراسة التي قمنا بها إلى تخصص له أهمية كبرى في حقل الدراسات الاجتماعية، في إطار سوسيولوجيا الظواهر الحضرية، من خلال الظاهرة الجنسية داخل العالم الاجتماعي التي تشكّل مجالاً خصباً لمختلف الحقول المعرفية والتخصّصات الاجتماعية، والتي تأخذ منه العديد من المواضيع ذات البعد الحضري، الأمر الذي يجعلنا أمام مسألة جوهرية تتعلق بخصائص الظاهرة الجنسية في ظلّ التحولات والتغيّرات التي يعرفها المجتمع المغربي.

وتثير هذه الدراسة السوسيولوجية للظاهرة الجنسية آفاقاً واسعة للبحوث الميدانية، ومن هذه الآفاق:

ـ إجراء دراسات تتناول بالمقارنة والتحليل الظاهرة الجنسية القروية، والظاهرة الجنسية الحضرية، في المجتمع المغربي، في علاقتها بتحقيق التنمية البشرية والتنمية المستدامة.

ـ التطرق بالدراسة والتحليل إلى الظواهر الحضرية الناتجة من التغيّرات السوسيو ـ ثقافية للظاهرة الجنسية في المدن في علاقتها بتحقيق التنمية البشرية والتنمية المستدامة.

المراجع

أبو علاء، رجاء محمود (٢٠٠١). **مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية**. ط ٣. القاهرة: دار الجامعات.

حسن، عبد الباسط (١٩٨٢). **أصول البحث الاجتماعي**. ط ٨. القاهرة: مكتبة وهبة.

حمداش، عمار (٢٠٠٦). **تقنيات البحث السوسيولوجي**. القنيطرة: المطبعة السريعة. (دفاتر طالب علم الاجتماع؛ ١)

الديالمي، عبد الصمد (٢٠٠٩). **سوسيولوجيا الجنسانية العربية**. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

عليان، ربحي مصطفى ومحمد عليم عثمان (٢٠٠٠). **مناهج وأساليب البحث العلمي: بين النظرية والتطبيق**. عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

مختار، محيي الدين (١٩٩٩). **الاتجاهات النظرية والتطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية**. دمشق: منشورات جامعة دمشق.

مسلم، محمد (٢٠٠٤). **منهجية البحث العلمي**. ط ٢. القاهرة: دار الغرب للنشر والتوزيع.

صدر حديثاً عن مركز دراسات الوحدة العربية

البركان: قصة انطلاق المقاومة العراقية

وليد الزبيدي

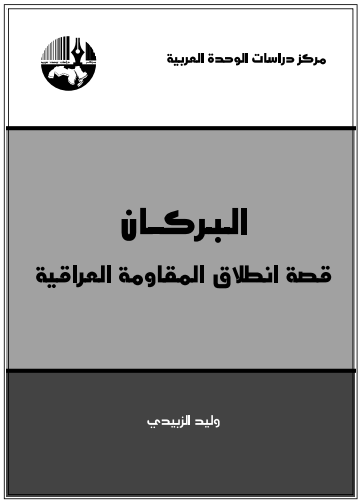

يقدّم هذا الكتاب عرضاً تحليلياً ـ توثيقياً لتجربة المقاومة العراقية للغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣، التي انطلقت منذ اليوم الأول للاحتلال، فيتناول قضية المقاومة العراقية ضد الاحتلال، مسلطاً الضوء على سرعة انطلاق المقاومة في العراق، على الرغم من غياب الدعم الدولي لها، وغياب الدعم الإعلامي بما فيه العربي والمحلي، ومن الظروف الطبيعية غير الملائمة لحرب العصابات، مقارناً الكتاب بين تجربة المقاومة العراقية وأربع تجارب أخرى في العالم، هي المقاومة الفرنسية، والمقاومة الفييتنامية، والمقاومة الجزائرية، والمقاومة الفلسطينية.

ثم يسلّط الكتاب الضوء على قصة انطلاق المقاومة العراقية، ويرصد عمليات المقاومة يوماً بيوم وعدد القتلى الذين سقطوا للقوات المحتلة على مدى الأشهر الثلاثة الأولى من الاحتلال، استناداً إلى بيانات وزارات الدفاع الأمريكية وغير الأمريكية، إضافة إلى تقارير مراسلي صحف ووكالات أنباء عالمية.

١٩٢ صفحة

الثمن: ٩ دولارات أو ما يعادلها